الثوريين العرب ، هي صياغة واعادة صياغة ليس فقط فكر المقاومة الفلسطينية بل فكر واستراتيجية الحركة الوطنية العربية التقدمية بافق ماركسي — لينيني تحدد نظرية العمل الثورية للثورة العربية الاشتراكية وذلك من خلال كشف القوانين الخاصة لظروف الوطن العربي وخصائصه الذاتية بالاضافة الى نقد واعادة نقد ذاتي صارم ليس فقط لفصائل المقاومة الفلسطينية بل لكافة فصائل حركات التحرر الوطنية في مختلف الاقطار العربية لايجاد الصيغة الثورية البديلة لتلك الممارسات مع تقييم سلبيات وايجابيات تلك الفصائل والاستفادة القصوى من تجاربها النضالية غنية كانت ام فقيرة، صائبة ام منحرفة .

ولذلك جاءت محاولة العظم النقدية في « دراسته » الطويلة هذه ، مقصرة عن فهم ظروف المقاومة الفلسطينية والاطار التاريخي الذي احاط نشأتها ، اذ طغت في كتابه النصوص على التحليل ، والاستشهادات الانتقائية والعشوائية على دراسة الواقع العربي ومن ضمنه الوضع الفلسطيني كمقدمة لفهم معنى انبثاق المقاومة المسلحة ، والارضية المادية — الاجتماعية التي انطلقت منها ، والمحيط العربي في بناه الطبقية واختلاف انماطه الانتاجية وانظمته السياسية الذي طوق المقاومة ، بالاضافة الى توازن القوى السياسية في العالم وطبيعة العدو الصهيوني وبالتالي طبيعة الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة وكيفية مواجهتها للمؤسسات الاسرائيلية ومقاومتها لها بالرغم من كل الظروف والضغوط .

ولهذا فان اي محاولة لدراسة فكر المقاومة دون دراسة واقع المقاومة ، تكون محاولة قاصرة وجزئية . وتجاهل العظم لواقع المقاومة دفعه للاغراق في نصوص فكرها لا في تفاصيل نضالها السياسي والمسلح ، الذي كان الطابع المميز لمسيرة ممارستها القصيرة التي تتوجت بصدام دموي مكشوف في الاردن مع النظام الملكي ، ادى الى خسارتها الجولة الاولى وليس الى « هزيمتها » او « نهايتها » كما يحاول ان يقول المؤلف .

كما ان محاكمة العظم للمقاومة ، لم تكن من خلال واقع المقاومة ، بل من خلال جمعه لوثائق وفكر « ادمغة » المقاومة ، ومن هنا جاء فشله في محاكمة « جماهيرية » فصائل المقاومة ، التي حاكمها على اساس انها مشروع حزب يعمل ببطىء وروية لتكوين النواة الطليعية والكوادر الاساسية لبناء التنظيم الذي سيواجه المعركة الوطنية — الطبقية ضد الامبريالية والطبقة الرجعية الحاكمة ، وليس على اساس ان المقاومة كانت منذ البداية مشروع ثورة، مشروع تحرير ، افرزها الواقع وتناقضاته ، افرزتها الهزيمة — هزيمة الخامس من حزيران وهزيمة البورجوازية الصغيرة العربية مع حلفائها او « اعدائها » المحليين من بقايا الاقطاع السياسي وطبقة البورجوازية الكبيرة التجارية والمالية .

ولذلك فالمقاومة عند بداية انطلاقتها عام ١٩٦٥ ، كانت « مقاومة » افراد وليست مقاومة جماهير مسلحة ، لذلك كان فكرها ينبع من «فوهة البندقية» على حد تعبير احد فصائلها ، وليس من الكتاب والقلم . كان فكرها ينطلق كتتمة لصعود الحركة الوطنية في الوطن العربي وكتتويج مسلح لها قبل هزيمتها في ٥ حزيران . وبعد الهزيمة شهدت المنطقة العربية دفقا ثوريا واندفاعات جماهيرية غطت بداية انحسار الحركة الوطنية وطغت عليها. وبعد معركة الكرامة في اذار ١٩٦٨ كانت بداية التحول في بنى فصائل المقاومة ، حيث بلغ الاندفاع الجماهيري اوجه ، وحيث برز الدفق الثوري في أرقى اشكاله ، لدرجة ان المقاومة نفسها لم تستوعب تلك السيول ولم تستطع تأطيرها بسهولة وسرعة في تنظيم جماهيري طليعي مسلح وضمن خطة ومنهج سياسي جاهز وناجز . بل كان على المقاومة ، عبر مسار ثورتها ، وعبر نضالها السياسي والمسلح ، وعبر ممارستها العملية التي من المفترض ان تأخذ وقتا طويلا لتهضم تلك المجموعات المتباعدة والفئات الاجتماعية المتمايزة والقوى الطبقية المتنافرة ، وان تقدم الدليل الثوري الوطني — الطبقي للتحرير القومي والتغيير الاجتماعي للوضع العربي الحاضر ضمن اطار القوانين العامة للثورة العالمية . كان عنصر الوقت هو العائق الرئيسي في عمر المقاومة القصير في مرحلتها الاولى، اذ تراكمت عليها المهام، واصبحت بديلا عن الجميع ، ليس فقط لانها طرحت نفسها كبديل بل لان الجماهير المندفعة نفسها اتخذت من المقاومة بديلا لها عن « الانظمة » ، بل حتى بديلا عن الحركات الوطنية العاملة في ساحاتها السياسية منذ فترات متفاوتة في عدة اقطار عربية . وبذلك تحولت المقاومة الفلسطينية رغم ارادتها من مقاومة فلسطينية الى مقاومة عربية ، واصبحت الحركات الوطنية في مجمل الوطن العربي مجرد ملاحق